جزيرة تيبرون وحكاياتها

أحقيقة ام خيال

نشرت جريدة « دومينكا ديل كوريير » الايطالية في احد اعدادها الاخيرة مقالة عن جزيرة « تيبرون » اوردت فيها اخباراً اقرب الى الخرافة منها الى الحقيقة . على انها قد شفعت ما كتبته باسماء وتواريخ تدعو الى الاعتقاد بصحتها وعليه فقد رأيت ان الخصها لقراء المقتطف الكرام على سبيل التفكهة نظراً لما حوته من الاخبار الغريبة والحوادث المدهشة

تيبرون جزيرة في خليج كلفورنيا يفصلها عن الساحل الاميركي مضيق صغير فيه المياه دائمة الطياج . وقد سمي هذا المضيق انفرنلو « اي جهنم الصغيرة » ويقطن هذه الجزيرة قبيلة من الهنود المدعوين بالسيريين وهم بلا نزاع اكثر الامم الباقية على سطح المعمور همجية . فهم يكرهون البيض كرهاً شديداً ويأبون كل علاقة معهم وعندهم قتل الغرباء افضل الفضائل التي يتحلون بها فيرمون بنبالهم المسمومة كل من يرد جزيرتهم من الزائرين . وعادتهم في افتراسهم غريبة جداً فهم يشدونه الى شجرة ويولمرن حوله فيشربون ويرقصون وبعد ذلك يأكلون لحمه . وكثيراً ما يقصد اولئك الهنود الشاطئ المقابل من جهات كلفورنيا فيجتازون بقواربهم الصغيرة السريعة ذلك المضيق الهائل ويعودون بسرعة غريبة الى جزيرتهم متى احسوا بخطر الاعتداء عليهم . وما قصد احد زيارة تلك الجزيرة وعاد منها حياً او وقف له على اثر . وقد أرسلت في المائتي عام الاخيرة اكثر من اربعين بعثة الى تلك الجزيرة فبعضها هلك اذ لم تتوفر لديه كل الوسائل والبعض الآخر عاد بالفشل . والذي يساعد اولئك الهنود على التحصن في جزيرتهم ومقاومة كل طارىء هو استحكاماتها الطبيعية فانها ملأى بالحفر والبرك المتنة فهي لها كالخنادق تتيها شر الفاتحين . والسيريون قوم سريعو الجري رشيقو الحركة ويقال عنهم انهم يسبقون الغزلان جرياً . اما ثروة الجزيرة فهي عظيمة جداً مما دعا كثيرين من محبي الاثراء الى المخاطرة بحياتهم للاستيلاء على كنوزها

في سنة ١٨٧٩ قصدها اثنان من طلاب الذهب فبعد ان عملا فيها طويلاً وجمعا من الذهب ما قيمته اربعون الف فرنك تقريباً دهمها السيريون وهموا

بالقبض عليهما على انهما تمكنا من النجاة ولاذا بالفرار لكن طمعهما دفعهما الى العودة ثانية لحمل الذهب فلم يعرف عنهما بعد ذلك شيء

وفي ١٨٩٣ قصدها ضابط اسمهُ روبنصن مع ثلاثة من اصدقائهِ لاستخراج الكنز الذي يزعمون ان الفاتح الشهير كورتيزا خبأهُ في تلك الجزيرة ويقدر بالملايين فعند ما نزل مع رفقتهِ الجزيرة رأوا بيوتاً كبيرة يقطنها جماعة من الهنود اظهروا في بادىء الامر الارتياح الى ضيوفهم ولكنهم ما عتموا ان انقضوا عليهم فجأة كالذئاب الخاطفة وقتلوا روبنصن ورفيقهُ لوجان ببنادقهما اما الاثنان الباقيان فاركنا الى الفرار والقيا بنفسهما في ترعة مياه قذرة وبعد عذاب شديد وصلا الى كوياس وطلبا النجدة من فرقة الجنود فبعد ان قتل اكثر من النصف عاد البقية على اعقابهم بالفشل

وبعد سنتين اي في عام ١٨٩٥ سار الكبتن بورتر مع البحري جولبن صديقهِ لاكتشاف كنوز تلك الجزيرة وبينما كانا يلتقطان بعض اللؤلؤ على الشاطىء داهمها الهنود فاحتدم القتال بينهم فقتل بورتر ببندقيتهِ سبعة من السيريين ولكنهُ جرح في اثناء المعركة جرحاً مميتاً فالقى القبض عليهِ وعلى رفيقهِ واهلكا . وفي السنة نفسها درس الاستاذ ماكجي من مكتب الاثنولوجيا الاميركي حياة السيريين وتعمق في البحث عن أصلهم وعوائدهم فزار لهذا القصد سواحل الجزيرة ولما لم يتمكن من الوصول الى داخلها عاد الى الساحل واخذ ملحوظاتهِ من فرقة من القبيلة نفسها كانت قد حلت بالقرب من المكان المدعو رانكو دون باسكال انسياناس . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٢ سارت بعثة كبيرة الى تلك الجزيرة ويقال انها اكبر بعثة من هذا النوع وكان يرأسها ميدوس وبويرس ومعهم ستة من الرفاق فتركوا مدينة يوما من اعمال اريزونا على اليخت « اليا » برآسة الكبتن كوز اورلاندر فقطعوا مجرى نهر الكولورادو ووصلوا الى تيبرون ودارو حولها كلها . وهذه خلاصة ما ذكرتهُ البعثة نفسها قالت : مضت أربعة ايام من وصولنا الى الثغر الصغير الذي رسينا بهِ ولم نرَ أحداً من الهنود فسرنا مرة طلباً للماء وكنا قد بعدنا قليلاً واذا بنا أمام ثلاث أو اربع عائلات من السيريين (نحو عشرين نفساً) بعضهم وقوف وبعضهم جلوس تحت كهوفهم وكانوا يأكلون شيئاً تبينَّاهُ فاذا هو لحم فتقدم ميدوس رافعاً بيد خرقة صفراء وبالاخرى خرقة

حمراء فظهرت على وجوههم علائم الارتياح وكان أول من تقدم الينا منهم صغارهم وتبعهم البقية فقدمنا لهم عقوداً من اللؤلؤ الزجاجي وقطع مرآة صغيرة وخرقاً مختلفة الالوان من الاقمشة الثمينة فكانوا يبادلون هداياناً بسلاح وحوائج من لوازم مساكنهم. وقد تمكنا بعد الالحاح الطويل أن نأخذ رسمهم الفوتوغرافي وعرفنا اكثر من خمسة وخمسين منهم وقدرنا عدد كل سكان تلك الجزيرة بثلاثمائة نفس. ومع ما كان يظهر لنا السيريون من الارتياح في الظاهر فقد كنا مهددين دائماً بالخطر اذ ان فريقاً منهم ما برح لنا بالمرصاد على رأس الحكة ينتهز فرصة للايقاع بنا وما نجانا من شرهم غير تيقظنا المتواصل

فعاد الينا ميدوس يوماً الى اليخت وهو يحمل قطعة من الصخر قدر الكف حمراء اللون صلبة تبهر النظر بشدة لمعانها وكان قد اقتلعها من مقطع صخري كبير في داخل الجزيرة فعندما انتهت رحلتنا حملنا تلك الصخرة فوجدت ملاى من المعدن المحتوي على كثير من الراديوم. وارتأى كثيرون من الجيولوجيين البارعين مواصلة البحث والتنقيب لقطع الصخرة كلها ودرسها درساً مطولا. وقد اهتم خاصة لهذا الامر الاستاذ هنري ميللر فاعلن عزمهُ على تأليف بعثة من الجيولوجيين والمعدنيين ترافقهُ لدرس كنوز تلك الجزيرة غير انهُ لم يجد من يلبي دعوتهُ اذ لم يكن من يجهل اخطار هذه البعثة فلم يضعف بذلك عزم الاستاذ ميللر وصمم ان يسير بنفسهِ بصحبة اورلاندر وبان يحت الرحلة السابقة. وقد خال اولاندر أنهُ يصادف في رحلتهِ ما صادفهُ رفيقهُ ميدوس من ارتياح السيريين ولم يكن يدري ما خبأه لهُ القدر فسافر هذان الجريئان في اواخر سنة ١٩٠٤ ثم انقطعت اخبارهما. وفي السنة التالية سارت فرقة من الجنود الى الجزيرة فرأت ما حل بذينك التعسين فقد وجدوا يدين مقطوعتين وعليهما أثر دماء وهما مشدودتان الى عمود خشبي مسمر في جذع شجرة على شكل صليب وكانت اليدان مشدودتين بسيور قطعت من حقيبة الآلة الفوتوغرافية وعلى تلك السيور اسم لا يقرأ منهُ الا الاحرف الثلاثة M...E...R... وحول الشجرة اثر وقع اقدام متوالية رسمت في الارض شكل دائرة يستدل منها ان اولئك المتوحشين صنعوا وليمة من فريستهما ورقصوا حولها قبل ان يفترسوها. انتهى

الاسكندرية كرم قربه

(المقتطف) تحثنا عن حكايات هذه البعثات الى جزيرة تيبرون والرجال المذكورة اسماؤهم فيها وتواريخها فلم نجد ما يؤيدها. وكلّ ما فيها من الصحة على ما اتضح لنا هو ان تيبرون جزيرة في خليج كليفورنيا يفصلها عن الساحل الاميركي مضيق صغير. ويخيل الينا ان الحكايات من وضع بعض الروائيين والغرض منها ترويج الجريدة التي نشرت فيها لا ذكر حقائق تاريخية وامور واقعية

النزاهة

قبل ان ادخل قلب الموضوع واتوغل في البحث اعرّف النزاهة واحدّدها لئلا تبقى عثرة كؤوداً في سبيل الانصاح او يأتي في كلامي ارتباك واضطراب اتحاشاها في مثل هذا المقام. جاء في التعريفات « النزاهة هي البعد عن السوء وقيل هي اكتساب مال من غير مهانة ولا ظلم الى الغير » فيكون مؤداها الى معنى honesty الانكليزية او honnetetá الفرنسية. لاسيما وان فعل نزه يتخذ في العربية بمعنى تباعد عن كل مكروه وتنزه عن السوء بمعنى تباعد وتصوّن فيقال يتنزه عن الخسائس والدسائس والمعائب والمطامع وملائم الاخلاق. وجاء في القاموس النازه اسم فاعل ورجل نازه النفس اي عفيف متكرّم يحلّ وحده ولا يخالط البيوت بنفسه ولا ماله » وكان الاولى استعمال كلمة العفة بمعنى honesty لو لم تغلب هذه بين اهل النصرانية على ترك الشهوات البدنية وطهارة الجسد والتبتل لان في الاصل العفة مصدر عفّ الرجل اي كفّ عما لا يحل ولا يجمل قولاً وفعلاً وهذا عين المعنى الذي يريده الفرنجة بلفظة honnetetá وليت اتخذ المعربون لفظة النزاهة في معرباتهم وانزلوها منزلة اللفظة الاوربية

لندع ناحية الابحاث اللغوية ولنرد معهد الآداب ونقف في عرصات الاخلاق لندرس هذه الفضيلة السامية ونتقدم اليها متهافتين مسرعين فهي عمدة لا نستغني عنها ومكرمة لا بدّ لنا منها في حياتنا الفردية والاجتماعية. النزاهة هي فضيلة الصدق مبدؤها والامانة رائدها والوفاء بُنيّتها وان شئت فقل النزاهة مصدر يشتق منها ماضٍ وحاضر ومستقبل فماضيها الصدق وحاضرها الامانة ومستقبلها الوفاء. اما الصدق فهو قول الحق وايراد الوقائع الماضية على علاتها